المتن

رابعًا: أن كلام الله ورسوله ليس مرجعًا للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلاههم الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع بل هو زبدة الرسالات، وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة وما خالفها، فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً، إن لم يتمكنوا من تكذيبه.

خامسًا: أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله، فيقال في قوله - تعالى "وَجَاءَ رَبُّكَ"[الفجر: 22] إنه لا يجيء، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" إنه لا ينزل لأن إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه، ونفي ما أثبته الله ورسوله من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره؛ لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات، أو تعدى إلى الأسماء - أيضاً - ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض، كالأشعرية والماتريدية: أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه.

- فنقول لهم: نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه كما هو ثابت بالدليل السمعي.

مثال ذلك:

أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة.... أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها.

*أما السمع: فمنه قوله تعالى"وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ"[البقرة:253] .

*وأما العقل: فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة.

ونفوا الرحمة؛ لأنها تستلزم لين الراحم ورقته للمرحوم، وهذا محال في حق الله تعالى.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل ففسروا الرحيم بالمنعم أو مريد الإنعام.

المتن

رابعًا-أن كلام الله ورسوله-صلى الله عليه وسلم-ليس مرجعًا للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع بل هو زبدة الرسالات وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة وما خالفها فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً أو التحريف الذي يُسمونه تأويلاً إن لم يتمكنوا من تكذيبه.!!

الشرح

هذا أيضًا اللازم الرابع

أن نقول: إن كلام الله-سبحانه وتعالى-وكلام رسوله ليس مرجعًا للناس في معرفة مايجب لله أو يجوزأو يمتنع أليس كذلك؟ يقول: لاترجع للقرآن ولا للسُنة ولا لكلام الصحابة فيما يجب لله تعالى من صفاتِ الكمال وفيما يمتنعُ عليه من صفاتِ النقص وفيما يجوز عليه من الصفات التي تكون كمالاً عند وجود سببها!! لاحظوا هذا التقسيم: شيءٌ واجبٌ وشيءٌ ممتنِعٌ وشيءٌ جائزٌ.

* الواجب: هو الذي يكون صفة كمال على كلِ حالٍ.

* الممتنع:هوالذي يكون صفة نقص على كل حال.

* والجائز: هوالذي يكونُ له سببٌ ليَكْمُلُ عند وجود سببه؛ مثل الضحك والغضب والفرح والنزول ومأأشبه ذلك....هذه من الأشياء الجائزة غير الواجبة.

نقول: إنك إذا قلتَ بقول أهلِ التعطيلِ جعلتَ المرجعَ هوالعقل. هذه العقول التي زعمت أنها هي المرجع. أىُّ عقلٍ تزنُ به ذلك؟ أيُّ عقلٍ؟ ولنفرض أنه قال عقل فلان. نقول: أيهما أعلمُ هذا الرجل الذي قلتَ إنه هو المرجع أو الرسول عليه الصلاة والسلام؟ إذا قال: هذا الرجلُ أعلمُ من الرسول صلى الله عليه وسلم-كفر؛ وإذا قال: الرسول . قلنا: إذن يجب أن ترجع إلى ما قاله الرسول لا إلى العقل الذي زعمت الآن أنه مفضولٌ ومرجوحٌ.

أيضاً نقول: هذه العقول مضطربة متناقضة ؛ تجد هؤلاء العقلاء الذين يدَّعون أنهم عقلاء يقولون هذا: هذا واجبٌ لله- عزوجل-وآخرون يقولون هذا ممتنعٌ في حق الله وفريقٌ ثالثٌ يقول هذا جائزٌ. بل يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : إن هؤلاء الذين يدَّعون أنهمُ العقلاء تجد الواحد منهم يوجب هذا الشيء لله وفي كتاب آخر يقول هذا ممتنعٌ في حق الله. فإذا كان هذا الاضطراب في هذه العقول فكيف يُمكن أن تكون هي المرجع للناس فيما يجب عليهم معرفته في ذاتِ الله-عزوجل-؟
الذي يُخالف العقل عند هؤلاء إذا كان يُمكنهم تكذيبه قالوا: هذا كذبٌ ولهذا لايعتدُّون بأخبار الآحاد في باب الصفات ؛ لايعتدون إلا بالمتواتر.كلُ أخبار الآحاد عندهم ليست حُجة فيما يتعلق بصفات الله, فإن عجزواعن تكذيبه ورده كالقرآن مثلا ؛ذهبوا إيش؟

يُحرفونه مايقدروا .....يقولون: إن قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" ماثَبُت مايستطيع أن يقول ذلك لأنه ثابتٌ.إذن يلجَؤون إلى التحريف الذي هو صرف الكلام عن ظاهره.

وعلى هذا نقول: إنكم إذا رجعتم إلى العقول وتركتم المنقول؛ فأنتم أخطاتم في ذلك لأن العقول متناقضة مضطربة؛ وأما الأدلة من الكتاب والسُنة فإنها متفقة وليس فيها أيُّ اختلافٍ . بل إن الرجوع إلى العقل ؛إبطالٌ لدلالة العقل.كيف ذلك؟ لأن العقل لايمكنه إدراك مايجب ويجوز ويمتنع على الله-عزوجل-على سبيل التفصيل ؛فكان العقل يقتضي أن نرجع إلى النقل؛ فتقديم العقل على النقل كفرٌ بالعقل وبالنقل.

لو كان هناك رجلٌ غائبٌ ؛ تستطيع أن تصف هذا الغائب؟ ماتستطيع على سبيل الدقة ؛ وإن كان يُمكن أن تصفه على سبيل الإجمال لأنك تُشاهد نظيره؛ لكن لا تستطيع أن تصفه على سبيل الدقة.

إذن فالعقلُ يقتضي أن المرجع في ذلك إلى النقل هذا العقل. فإذا قلتَ:بل أرجع إلى العقل فقد كفرت بالعقل وبالنقل.